(الموت) وحقيقته:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: من الآية٣٥].ويقول أيضاً: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

- .. وقال الشاعر:

الموت (كأس) وكل الناس شاربه فليت شعري بعد الموت مالدار؟!-

(الموت): هو قضاء الله سبحانه وتعالى المبرم على خلقه، وهو الكأس الذي سيتجرّعه كل حي، لا يفلت من قبضته أحد، حتى الأنبياء الكرام: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وهكذا فقد كتب الله أن يفنى كل خلقه، لأن الموت صفة الضعيف، صفة المخلوق.. والله وحده القوي.. وهو الخالق.. فله البقاء والخلود، وهو الذي كان و لم يكن قبله - أو معه- شيء، والكائن بعد كل شيء.

هـــذه هـــي الحقيقة التي كتبها الله وأنفذها في خلقه، ولو كتب الله الخلود لبشرٍ.. لكان لرسوله ونبيه محمد ﷺ أول هذا (العزيز المنال)...!

- يا ابـــن الذيـــن فنـــوا وبـــادوا ..أما والله ما ذهبـــوا.. لتبقـــى-

وصدق الله مُخاطباً رسوله الأكـــرم ﷺ ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الأنبياء:٣٤] وقولـــه سبحانه ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون/ اية ١١٥] !؟.

قال الحسن البصري -رحمه الله-:

(ما رأيت يقيناً لا شكّ فيه، أشبه بشك لا يقين فيه.. من الموت!).

فالموت.. – كما قيل – : **بدون أسباب هو (السببُ)!**

وقد قال الحكيم لقمان: (لا غائب أقرب من الموت)

وقـيل – في الوعظ–: إن الموت تخطاكم لغيركم، وسوف يتخطّى غيركم .. إليكم!

– وصدق الله العظيم.. ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة/ ٨].

حتى أن الله ذمّ فئة ضالة تظنّ أن طول العمر –قد– يبعدها عن المصير المحتوم، والمآل المذموم: ﴿ .. يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ [البقرة/٩٦].

و.. روى البخاري أن النبي ﷺ قال : {من أحب لقاء الله.. أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله.. كره الله لقاءه}. فقالت بعض أزواج النبي ﷺ إنا نكره الموت، فهل هذا أننا نكره لقاء الله؟ فقال ﷺ: {ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت.. بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر.. بُشّر[1] بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله فكره الله لقاءه}.

---

(١) معلوم أن البشرى– وهي (الإنباء بأمر سارٍ قادم)– في أمر خير، لكن هنا: للنكاية بأولئك الكفار، كما قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

وكذا.. شرح (د. عايض القرني) بـــ:

« إن تحب لقاء الله تعالى ولا يعني أنك تحب الموت قبل الموت ولكن تشتاق إلى لقاء الله إذا نزلت بك سكرات الموت ».

و.. حـــتى أن الجاهـــلي (عبيد بن الأبرص)[1] وكان من المعمرين- إذ تجاوز عمره المائة سنة- يُقرُّ بهذا.. ويُسلِّم به:

فـــأبلغ بـــنيّ.. وأعمـــامهم بـــأن (المـــنايا) هـــي الوارده

لهـــا مُـــدّة..فـــنفوس العباد إليها[2]- وإن كرهت- قاصده

.. فلا تجزعن لـــ (حِمام) دنا فلـــلموت مـــا تلـــد الوالده

وكذا قال ندّهُ (قس بن ساعده) — نثراً - :

(.. من عاش مات، ومن مات فات، .. وكل ما هو آتٍ آت.. إلخ).

إذ ليس له دواء! ..كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ق/ أية ١٩].

كذا قال (صالح بن عبد القدوس)- في موعظته الشهيرة-:

ســـفري بعيد، وزادي لم يُبلّغني وقســـوتي لم تـــزل، والمـــوت يطلبني

و .. قال الشاعر محمد بن عثيمين :

هو الموت ما عنه ملاذ ومهربُ - متى حُطّ ذا.. عن نعشه.. ذاك يركبُ-

---

(١) أحد شعراء المعلقات.

(٢) الضمير يعود على (المنايا): جمع منيه-.. ويوم وفاة المرء.. أي : منيّته -

وهـــو معـــنى تداولـــــه الشـــعراء كثيراً، بخاصة في مطلع مراثيهم وحِكمهم، .. كما فعل كعب بن زهير ﷺ:

كل ابن انثى -وإن طالت سلامته- يوماً .. على آلة حدباء محمولُ

أو تسأل المتنبي- راثياً-:

أين الـــذي الهرمان من بنيـــانه ما نفـــسه ما قومه مـــا المصرع؟!

و.. لما مرض الربيع بن خثيم – رضي الله عنه – قالوا له: ألا ندعوا لـــك طبيباً؟ فتفكر وقال: (أين عاد وثمود وأصحاب الرسِّ وقرون بين ذلك كثيراً؟ قد كانت فيهم الأدواء والأطباء، فلا أرى المداوي بقى ولا المداوي، كـــل قـــد قضـــى ومضـــى).- بمعنى : (أيُّ عيش يطيب!، وليس للموت طبيب).-

و.. قـــال إيليا أبو ماضي-.. مخاطباً تلك (السفود) والأضرحة التي حوت.. كل غالٍ-:

مـــــا للقبور.. كأنما لا ساكنٌ فيها ..وقد حوت العصور المـــاضيـــــة
..طـــوت الملايين الكثـــيرة قبلنا، ولسوف تطوينا.. وتبـــقى خالية[1]
أيـــن المهـــا؟.. وعيونها؟.. وفتونها؟ ..أين الجبابـــر..، والملوك العاتـــية
ذهبوا.. عن الدنيا،.. كأن لم يُولدوا سحقتهم.. كفّ القضاء "القاســـية"
..إن (الحـــياة) قصيدةٌ.. أعمارنـــا (أبيـــاتـــها)،.. والموت فيها القافية

---

(١) .. من تعليل (المعري):

صاحِ.. هذي قبورنا تملأ الرحب فأين القبور .. من عهد عاد.
خفف الوطء، ما أظن أديم الـــ أرض، إلا من هذه الأجساد

وقال أبو البقاء الرُّندي - في.. فقد (الأندلس) – واعظاً:

..هي الأمور كما شاهدتـــها دول مـــن غـــرّه زمن ســـاءته أزمـــان

وهذه (الـــدار) لا تُبقي على أحد ولا يـــدوم على حالٍ لـــها شـــأن

..فهي- إذاً - دول[1]..، لكن: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف/ اية ١٢٨]. الذين كتب الله لهم النصر والعزّ والتمكين، وذاك هدف المسلم ..ومناط تكليفه (فيها) أبداً.

ولكن !.. سؤال -.. أو عوداً على بدء-: ما هو الموت ؟

و.. جوابه بسيط: هو انفصال الروح عن الجسد.

ومن هذا، ينبعث سؤال آخر: ما هي الروح ؟

كتاب الله -(القرآن الكريم)- يجيبنا عليه، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: من الآية٨٥].

- استطراداً.. عن سبب نزول هذه الآية:

أن قريشـــاً بعثـــت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة:

---

(١) أي : تـــتداول بـــين جـــيل ســـابق، وآخـــر آت، كمـــا قال سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران/ ١٤٠] ..، أخرج ابن عساكر (قال المأمون ليحيى بن خالد البرمكي: يا يحيى: اغتنم قضاء حوائج الناس: فإن الفلك أدْور والدهر أجور من أن يترك لأحد حالاً، أو يُبقي لأحد نعمة!).

... وقالت العرب -في الأمثال- : لو دامت لغيرك.. ما وصلت إليك.

أنِ إسألاهم عن محمد وصِفا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى أتيا المدينة فسألاهم، فقال اليهود: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن.. فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل.. فالرجل متقوِّل، فروا فيه رأيكم. سلوه عن فتيةً ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فأقبلا حتى قدما على قريش، فقالا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاءوا رسول الله ﷺ فسألوه، فقال: {أخبركم غداً بما سألتم عنه}ولم يقل: إن شاء الله[1].. فانصرفوا فاحتبس الوحي خمسة عشر يوماً، ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف[2] كفار قريش، وقالوا إن محمداً قد تركه رئيه[3] الذي كان يأتيه من الجن، وقال بعضهم: قد عجز عن أكاذيبه، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فلما انقضى الأمد.. جاءه الوحي بجواب الأسئلة وغيرها، فجاءه جبريل بسورة (الكهف) معاتباً فيها إياه على حزنه عليهم، وبيان أمر الفتية والرجل الطوّاف، وأنزل بعد ذلك ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٥].

---

(١) - أنظر تفسير السعدي ص٤٧٤-

(٢) أرجف: خاض في الأخبار السيئة .

(٣) الرئي: هو التابع من الجن.

وروي في هذا السبب: أن اليهود قالت: إن أجابكم عن الثلاثة فليس بـــ نبي، وإن أجاب عن اثنتين وأمسك عن الأخرى فهو نبي، فأنزل الله سورة (الكهف) [1]-

إذاً المراد بالروح في هذه الآية على رأي كثير من العلماء:

هي (روح الآدمي).

ويعرّف بها (واصفاً) الإمام الجليل ابن القيم الجوزيه في كتابه "الروح" بقوله: (الروح جسم مخالف بالماهية، وهو جسم نوراني خفيف متحرك، ينفذ في جوهـــر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الأنـــبوب، والـــنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضـــة عليها من هذا الجسم اللطيف.. أبقي هذا الجسم اللطيف متشابكاً بهـــذه الأعضـــاء، وأفادها هذه الآثار - من الحس والحركة والإرادة- وإذا فســـدت هـــذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط - الأمراض والحوادث- خرجـــت عـــن قبول تلك الآثار وفارقت الروح البدن، وانفصلت إلى عالم الأرواح) — والله أعلم-.

ويقول شيخ الإسلام (ابن تيميه) رحمه الله:

(الإنسان عبارة عن الروح والبدن معاً، بل هو بالروح أخصُّ منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح، كما قال أبو الدرداء: إنما بدني مطيتي، فإن رفقت بها بلّغتني، وإن لم أرفق بها لم تبلغني).

---

(١) و.. أنظر تفسير (السعدي) ص٤٨٥/ ٤٨٦.

وقد قرأت تعليقاً جميلاً للأديب (حمد القاضي) عما قيل- مثلاً- عن (مخ) الإنسان بـــ:

(هذا المخ الصغير جداً الموجود في كل إنسان يحوي على ثلاثين ألف مليون خلية..!) [1]-

فقال: { هذا ما وصل إليه العلم، أما الذي لم يصل إليه العلم فهو أعظم وأجلّ..!

هذه (الروح) التي فيها حياة الإنسان وموته، لا يتعدى علم الإنسان بها علم أبسط أُمّيُ منذ أن خلق الله آدم وحتى هذه اللحظة، ولهذا فالروح المعجزة الوحيدة التي شاء الله – سبحانه – إلى علم الإنسان القليل فيها، بعد أن تحدّث عنها حيث يقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٥].

تباركت يا ألله الذي خلقت الإنسان في أحسن تقويم، ولكن هذا الإنسان الذي لا يشكل (هباءة) في علم المجرات والنجوم المجموعات والعوالم الأخرى يطغى ويتكبر ويكفر ويعصى ويظلم، فـــ/ ما أحلمك يا ألله، .. وما أطغاك أيها الإنسان} !!

صدق الله.. في قوله- عن جملة من البشر -: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ [2] ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩١]. ، وفي تقريره سبحانه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾ ﴾ [3][فاطر/ ٢٨].

---

(١) .. ورد هذا في كتاب غربي أسمه (عرض من السماء) -.

(٢) .. وعجيب – في هذا – قول الأعرابي: (سبحان الله من أغضب الحق حتى يقسم!) تعقيباً على ابن عباس حين قرأ ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ .

(٣) كما قال سبحانه ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران/٧].

.. واسترسالاً: أنظر إلى حبيبك و (قدوتك) محمد ﷺ، وقد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر[1]،كيف يكون (عبداً شكوراً): روى ابن حبان رحمه الله – في (أخلاق النبي) – عن عطاء قال: دخلت أنا وعبدالله بن عمير على عائشة رضى الله عنها، فقال عبدالله بن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ؟ فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي فقال {يا عائشة: ذريني أتعبّد لربي}، قالت: قلت والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرّك، قالت: قام فتطهرّ، ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، وجاء بلال يؤذن للصلاة فلما رآه يبكي قال يا رسول الله: أتبكي.. وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ:{ أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليّ آيات ويل لمن قرأها و لم يتفكر فيها : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران:/١٩٠].

رواه ابن حبان والبيهقي.

.. كذا قوله ﷺ { إني لأخشاكم لِله.. الحديث}.

و.. قد تعلّم منه أصحابه مقام ربهم، ويكفي أبو بكر- كما في الحديث: { أن لو وزن إيمانه وإيمان الأُمّه، وإيمانه لرجح إيمانه}، وقال فيه مُثنياً: {صدّقني حين كذبني الناس، وواساني بنفسه وماله..} الحديث.

---

(١) .. من قوله تعالى.. له: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح/ ٢].

وكـــذا عمرَ -الذي {لو سلك طريقاً لسلك الشيطان طريقاً آخر} كمـــا في الحديـــث- حين فاضت النعم في عهده، وقيل له ألا تتوسّع؟ فقال (أني تركت صاحبيّ – يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر – على نحله، وأخشى ألا أدركهما) -أي/ في المنزلة-.

وعـــثمان رضـــي الله عنه، الذي قال فيه رسول الله ﷺ- حين جهّز جـــيش (العسرة)-: {ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم} ما أطغاه ذلك!، بل زاد من العبادة، وفاض من الصدقة، ويكفي أنه قُتل رضي الله عنه والمصحف على صدره وهو صائم.

وعلي[1] الذي قال: (و الله لو كُشف لي الغيب ما زاد في إيماني) أي: أنه بلغ بإيمانه كأنه يرى الغيب.. ماثلاً أمام عينه.

وسيرة الصحابة الذين قال الله فيهم ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو[2] ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر/٩].كأبي ذر وسعد ومعاذ والزبير ما لا يسع ذكره هنا إلا إلماحة..، حتى زكّاهم[3] الله واثنا عليهم، بقوله: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل/٢٠].

---

(١) .. وهو الذي يعرف قدره – رضي الله عنه – حين قال: - ما جاء في (تاريخ عمر)ص ٢٤٥ لابن الجوزي-:
(ما يؤتي برجل فضلني على: أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري) رضي الله تعالى عنهم جميعاً.
وسئل أيضاً: (من أفضل الأمة بعد النبي ﷺ فقال : أبو بكر ، قيل ثم من قال : عمر).
وقـــال أيضـــاً.. للفاروق – لما طُعن- : (أنفسنا تفدي نفسك، ودماؤنا تفدي دمك)، وحين حُصر (عثمان) رضي الله عنه، سلّح ابنيه– (سيّدا شباب أهل الجنة)-: الحسن والحسين- وهم قُرّة عينيه- وبعثهما إليه يحرساه.

(٢) أي : أخذ المنزلة المناسبة لصاحبها.

(٣) كما جاء في سورة النجم ﴿.. فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾.

وقال فيهم: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢٣].

تـذكّـر دائـمـاً

- الموت: مصير حتمي لكل مخلوق.
- الروح : علمها عند الله، وأمرها إليه.
- أعظـــم من يعلم قدر الله/ رسوله.. ثم من يليه مترلة من الصحابة والتابعين والأجلاء من أهل العلم والقدوة.

وهل لـ (علامات*):

نقـــول ـــ وفي الغالـــب ـــ نعـــم بخاصة.. من تجاوز عمرهم القنطرة (أي: المعتاد)، أولها قوله ﷺ { أعمار أُمّتي من الستين إلى السبعين} - الحديث- ، ثانـــيها حديث {لا يأتي رأس مئة سنة إلا وقد قضى أهل ذلك الزمان} وفي صـــحيح البخاري ومسلم -رحمهما الله- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رجال من الأعراب يأتون فيسألون النبي ﷺ متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصـــغرهم فـــيقول: { إن يعـــش هـــذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم قيامتكم}[1].

- و .. أخذ المعنى أبو العتاهية، فقال :

إذا قضى (القرن) الذي أنت فيه وخُلّفت في قرنٍ، فأنت غريبُ -

ويقـــول ســـفيان الثوري عليه رحمة الله تعالى: (من بلغ سن رسول الله ﷺ فليتخذ لنفسه كفناً).

وقد بلغ جماعة من العلماء سبعاً وسبعين سنة -منهم (أحمد بن حنبل) رحمـــه الله فـــإن بلغها فليعلم أنه على شفير القبر، وإن كل يوم يأتي بعدها مستطرف.

وأما الثمانين[2] فمن يبلغها فقد سام الحياة وملها وهي نذير الموت.

يقـــول فـــيها ابن الجوزي (فإن تمت له الثمانون فليجعل همته كلها مصـــروفة إلى تنظيف خلاله وتهيئة زاده، وليجعل الاستغفار حليفة والذكر أليفه).

---

* أنظر ما يأتي – ثنايا /ص١٥٣

(١) قيامة المرء: يوم وفاته.

(٢) .. والشاعر (زهير بن أبي سلمى) يقول :

سئمت تكاليف الحياة، ومن عيش ثمانين حولاً.. لا أبالك يسأم.

ومن هذا ينشيء مفتي الديار (محمد بن إبراهيم آل الشيخ) رحمه الله:

إذا الرجال ولدت أولادهـــا وبليـــت من كبرٍ أجسادهـــــا

وجعلـــت أسقامها تعتادهـــا تلك زروع قد دنا حصادهـــا

وهكذا.. قال أحدهم:

قالوا: أنينك طول الليل يشغلنا! فما الذي تشتكي؟ قلت: الثمانينا[1]

قال بعض جهابذتنا: (نعم إن للموت علامات :فانحناء الظهر مثلاً ، وسقوط الأسنان، وكذا بياض[2] الشعر).

- وهذه الأخيرة قال فيها توفيق البكري :

أشعـــــرة بيضـــــاء، أم أوّل خـــيـــط الكفـــن!-

فـــ / عندها ..

لله در الشيب من واعظٍ[3] وناصح، لو حظي الناصح

وصدق الله العظيم القائل ـــ على لسان زكريا عليه السلام ـــ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴿٤﴾ ﴾ [مريم : ٢].

و.. جاء في (إرشاد العباد) ص٢ -:

إن يعقوب عليه السلام قال لملك الموت: إني أسألك حاجة؟ قال: وما هـــي؟ قال: أن تعلمني إذا دنا أجلي وأردت أن تقبض روحي؟ فقال: نعم،

---

(١) أي : أن أبناء الثمانين يُشغلون من حولهم بالأنين!

.. وقد لا يكون غالبه (أنين) الألم، بل هو- خوف- .. دنوّ الأجل!

(٢) إذ إن الشيب أول منذر ينذر بالأجل:

إذا رأيت شعر الإنسان صار أبيضاَ فاعلم أنه يشير إلى دنو الأجل

(٣) فالسعيد: من وعظ بغيره، وفي المثل (انجو سعد فقد هلك سعيد!) و.. انظر ما يأتي – في/ ص١٦٢-.

أرسل إليك رسولين أو ثلاثة، فلما انقضى أجله أتى إليه ملك الموت فقال: أزائـــر جئت أم لقبض روحي؟ فقال: لقبض روحك، فقال: أولست كنت أخبرتني أنك ترسل إلى رسولين أو ثلاثة؟

قـــال : قد فعلت، بياض شعرك بعد سواده، ضعف بدنك بعد قوته، انحناء جسمك بعد استقامته، هذه رسلي يا يعقوب إلى بني آدم قبل الموت).

فـــ .. أبداً لا مفر ولا مهرب، قالت (أم السليك) :

كـــل شـــيء قاتلـــك حـــين تلقـــى أجلـــك

وقال ـــ من قبل ـــ أمية بن أبي الصلت :

يوشك مَن فرّ من منيّته في بعض غرّته[1] يوافيها

- كما قال أبو ذؤيب :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع-

..وصدق الله العظيم في سورة [النساء]: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴿٧٨﴾ ﴾[النساء/ ٧٨].

عندها .. انتبه فقد أشرفت إلى الله ، ودنوت من لقائه، ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام/٩٤] فاحزم نفسك وأتمم إحسانك ، وأتبع الخير خيرا ، لتبلغ ختام الخير بإذن المنعم القائل: ﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف/٥٦].

---

(١) أي : اغتراره – أو غفوته – بما لديه.. ويجده. ، أو بما يملك.

قال الرحالة (حسين بن جبير) هذا الإجمال الجميل :

عجبت للمر ء من دُنياه تطمعه ... في العيش، والأجل المحتوم يقطعه

يغتر بالدهر مسرورا بصحبته ... وقد تيقن أن الدهر يصرعه

ويجمع المال حرصا لا يفارقه ... وقد درى أنه للغير يجمعه

تراه يشفق من تضييع درهمه ... وليس يشفق من دين يضيعه

وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبةٍ ... من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

وقال سبحانه ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر :٢٢].

- قال مالك بن دينار : (ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب)

وكذا نبه الواعظ :

هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى الزوال

و.. أيضاً :

إعمل فأنت من الدنيا على حذرٍ ... واعلم بأنك بعد الموت مبعوث[1]

واعلم بأنك ما قدّمت من عمل ... محصىً عليك، وما جمّعت موروث

---

(١)- حلية الأولياء ١٠/٢٢٦-

حقائق عامّةً.. عن (الموت):

١/ قال تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر/٣٠].

هذا حكم قضى به الله على جميع الخلائق، ولا يشذ عنه ملك مقرّب، ولا نبي مُرسل.

بل.. وليس أكرم على الله سبحانه وتعالى من إمام الأنبياء وسيد الأولين والآخرين[١] محمد بن عبدالله ﷺ، وقد حكم الله سبحانه عليه بالموت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر/ أية ٣٠]. وقوله له: ﴿ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء/٢٤].

إنما نذكره لتقريره – أولاً.

وثانياً لربط الإنسان – الضعيف – به .. تذكيراً، كيما يعمل ويُدرك من عمره ما فاق له، وليعلم أنها أكبر نعمة عليه من ربه أن سخّر له من يعظه، ثم أعطاه القلب العقول المدرك للنصح.. بعد، لـ ﴿ يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنعام/ آية ٣٦] ، فإن من لا يسمع ويدرك.. كالميت! ميتة معنوية[٢]- لا حقيقية-

بهذا جاء قوله قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾[النساء:١٧-١٨].

---

(١) من مدلول قوله ﷺ (أنا سيد ولد أدم ولا فخر).

(٢) .. كما سيأتي ص٩٩ وما بعدها-

٢/ الموت يشمل كل حيٍّ.. من المخلوقات، بما فيهم الأنبياء والملائكة والجان، بل حتى ملك الموت نفسه، قال سبحانه: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص:٨٨].

وقال:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

و.. أيضاً: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الواقعة:٦٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: {أعوذ بعزّتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون}[1].

٣/ لحكمة.. أدركها كل عاقل، فقد أخفى الله سبحانه وتعالى عن الخلق آجالهم وكذا وقت ومكان وفاتهم ؛ ليكون ذلك دافعاً للإنسان على العمل والاستمرار والجد، لأن الإنسان إذا علم وقت موته.. فإنه قد يقترف ما يشاء في حياته من الموبقات ويتبع الشهوات والملذات، ويقول: أتوب قبل أن أموت! ، أو علم مكان موته فإنه لن يأتي إليه أبداً.

و.. لقد حدد الله سبحانه وتعالى لكل مخلوق مكاناً وزماناً لموته، فلا يحيد عن مكان وفاته قيد أنملة ولا يزيد في عمره طرفة عين.. فهو أمر محتوم، وقضاء مبرم لا يتغير، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا

---

١) أخرجه البخاري ٧٣٨٣، ومسلم ٢٧١٧ .

وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [آل عمران: من الآية١٤٥].

وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأعراف/٣٤].

ومهما حاول الإنسان التخفّي، أو التمرّس عنه، فلن يجديه فعل هذا!، بل ولا يجد إلى ذلك سبيلاً، كما قال جل وعلا:

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: من الآية٧٨].

و.. روى الإمام مسلم عن أم المؤمنين أم حبيبة زوجة النبي ﷺ وبنت أبي سفيان –رضي الله عنهما– عندما سمعها النبي تقول: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها النبي ﷺ:

{لقد سألت الله لآجالٍ مضروبة وأيام معدودة، وأوراق مقسومة، لن يعمل شيء قبل حله أو يؤخر شيء عن حله، وبذل الجهد في الحذر والحيطة والإفلات من الموت لحظة واحدة، فإنه.. ولو كُنت سألت الله أن يعيذك من عذاب النار أو عذاب القبر.. كان خيراً وأفضل}(١).

وجاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: {خمس لا يعلمهن إلا الله، لا يعلم أحد ما يكون في غدٍ، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر}..، من قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ

(١) أخرجه الإمام مسلم ٢٦٦٣ .

وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان/٣٤].

وبالتالي مهما دعا الإنسان أن يطول عمره فلن ينفعه شيئاً، لأن الأمر محتوم[1] ولا مناص من هذا لأنه مُقدَّر من قِبل مقدِّر الآجال عز وجل، ويجمل ذلك قوله ﷺ{ لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها}.

-.. وإن كان هناك أسباب.. لهذا، كما أشار إليها ﷺ بقوله: {من أحبَّ أن يبسط له في رزقه وينسأ [2]له في أثره فليصل رحمه} رواه البخاري، عن أنس رضي الله عنه.

٤/ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]. و..قال النبي ﷺ: {إذا أراد الله قبض روح في أرضٍ جعل الله له فيها حاجة}[3].

ومن عجيب ما رُوي في هذا، ما رواه البيضاوي في تفسيره:

(أن ملك الموت مرَّ على نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام، فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه ويديم النظر إليه، فقال الرجل من هذا، قال: ملك الموت، فقال: كأنه يريدني، فمُر الرياح أن تحملني وتلقيني ببلاد الهند، ففعل، ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام: كان دوام نظري إليه تعجباً منه، حيث كنت أُمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو عندك)- فـ/ سبحان الله كيف صرفه.. إلى مكان أجله بيده!!-

---

(١) أي : مقطوع به.

(٢) أي : يمد .. ويطول، وكما قال أنس/ أوصاني النبي بخمس خصال.. منها (أسبغ الوضوء يزد في عمرك) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٢٨/٥.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٢٢/١ .

تـــذكـــر دائـــمـــاً

- الموت عام لكل المخلوقات حتى الأنبياء والملائكة والجن.
- لن تموت نفس إلا بحضور أجلها، وانقضاء رزقها.
- جهل العباد بآجالهم: دافعٌ لهم على العمل والاستعداد للموت.
- لكل مخلوق زمانه ومكانه المحدد لوفاته.

حالات انفصال الروح عن الجسد:

.. وهـــي حالين: أولها (الانفصال الأكبر): أي: انفصالها عند الموت، وتسمى القيامة الصغرى- فكل من (مات).. قامت قيامته[1]. —

وقد تقدم ما جاء في (الصحيحين): عن عائشة رضي الله عنها قالت: كـــان رجال من الأعراب يأتون فيسألون النبي ﷺ متى الساعة ؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول:

{ إن يعـــش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم قيامتكم } يعني موتكـــم، وانقـــراض عصركم، لأن من مات -وهنا الشاهد-: قامت قيامته ودخل في حكم أهل الآخرة.

وثانيها (انفصالٌ أصغر[2])- عند النوم- وفي هذه الحالة تنفصل الروح عن البدن، ولكن تبقى معلقة به تعلقاً بسيطاً تُبقيه حيّاً، لكن لا تعطيه كامل الإرادة[3] التي لدى الإنسان المستيقظ.. وتسمّى الوفاة الصغرى، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ[4] وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ[5] ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام/ ٦٠].

- ومـــن منّه سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾ [الفرقان/٦٢].

ونظمها الشاعر .. بـــ :

تـــبارك مـــن توفّـــاكم بليلٍ (ويعلم ما جرحتم بالنهـــــار)-

---

(١) أما القيامة الكبرى .. فهي: (يوم يقوم الأشهاد)

(٢) أنظر تفسير السعدي ص٧٢٥-.

(٣) .. وهذا معني حديث (رُفع القلم عن ثلاث، أحدهم: (النائم حتى يستيقظ).

(٤) أي: وفاة النوم، ويبعثهم في اليقظة من نومهم- كما قال السعدي- ص٢٥٩-.

(٥) – فجلّى الذي (لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء) وهو ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و: ﴿ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ سبحانه في عُلاه-

فالقـــيام من النوم بعثٌ ونشور، ولذلك جاء في الحديث : من دعاء المستيقظ من النوم: {الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور}.

نافلةً/

هـــذا عن حالتي انفصال الروح عن الجسد،.. أما الموت فلا بأس إذا وددنـــا الاسترســـال عـــنه لغـــة أنه: الانقطاع، لكن نقول بمعناه –هذا– مبسطاً/ على أنه أربع حالات! إثنان –حسّيان– تقدّما، واثنان – معنويان – هما:

الموت العقدي[1]، كما وصف الله أصحابه أنهم ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل/٢١] وقوله تعالى ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [من الآية ١٢٢ الأنعام] أي ميّت– كما قال العلامة عبد الرحمن السعدي[2]– رحمه الله – تعليقاً على قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ للَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]–: (إن "حياة القلب" والروح، بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام).

وتمثيل من له المثل الأعلى.. أجلى– بهذا: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ وقـــد قال فيها بعض أهل العلم: أي يكون المؤمن أبن الكافر، كما في حال سيدنا عكرمة[3] رضي الله عنه..!–

---

(١) أي معنـــوي – غير حسي – ميتة بالظلالة والظلام!.

(٢) تفسير (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص٣١٨.

(٣) ابن فرعون هذه الأمة (أبو جهل) –.. وأنظر ما يأتي (ص١٦٠) (هـــ١).

جـــاء في السيرة : وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف فقال أهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا فقال عكرمة: والله لئن لم ينج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجٍّ في البر غيره، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه، أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يديه، فلأجدنه عفواً كريماً فجاء فأسلم وتلقاه صلى الله عليه وسلم فرحب به وقام واعتنقه وقال له (مرحباً بالراكب المهاجر).

وكان –رضي الله عنه – من الأربعة وامرأتين الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم: (أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة).

بـــل أولـــئك دون الـــبهائم منزلـــة — عياذاً بالله- كما قال تعالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ وقال سبحانه ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢].

أما (الرابعة) فهي : ميتة العلاقة وانقطاعها، وقد نهى ديننا عنها، كما قال ﷺ{ لا يحل لامريء أن يهجر أخاه فوق ثلاث[1] فيعرض هذا ويعرض هـــذا وخيرهم الذي يبدأ بالسلام}،.. وهو الذي يُعانيه جملة من البشر ذوي الإحساس المرهف، المنسجم غالبه مع جماليات الحياة!

بمعني انقطاع الصلة مع شخص ما !!

و.. مع مني (عبد الرحمن بن معاوية):

قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي؟

.. ونقول عسى!؟، و.. قال محمد الخليف:

ولقد علمت — بُعيد غمضات الهناء- أن الحياة: تباعـــدٌ.. وتدانـــي

ثم.. ليس العجب من مات، فإن ذاك حضر أجله- الذي لا يُستقدم قـــبله، ولا يُؤخّر بعده-، لكن العجب من يموت -من حياتك- حين تموت صـــلتك.. وعلاقتك معه، إما بسبب دنيا تدخل بينك وبينه، - وهذا علاجه قولـــه ﷺ { رحـــم الله امـــريء سمحـــاً إذا بـــاع، سمحـــاً إذا اشترى } — أو وصـــفه ﷺ { المؤمن هيّن لين..، يألف ويُؤلف}- - أو بسبب جدلٌ لاختلاف رأي[2] وقد قال {أنا ضمين بيت في الجنة لمن ترك المراء[3] — وإن

---

(١) دينـــنا يتواءم مع الفطرة، فإحلال (ثلاثة أيام) هي حدٌّ .. أعلى، لسلّ أو لإنهاء ما بالقلوب وجنفها، و ما ينتج آنها.. منها.

(٢) .. سوى بعض ما ينفث فيها الشيطان من نفسه الخبيثة! كذا قال عليٌّ لإبن طلحه رضي الله عنهما: جعلني الله وأباك.. ممن قال الله فيهم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الأعراف/٤٣].

(٣) أي الجدال.

قال الإمام أحمد رحمه الله: إذا أراد الله أن يعاقب قوماً ابتلاهم بكثرة الجدل وقلّة العمل.

كان محقاً} أو بسبب تنافس على مكانة أو منزلة – وقد قال ﷺ { لا يؤمن أحدكم[1] حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه}!

.. وماذا بعد، وأنت تسمعُ به ويردُّ هاجسه جنبات دنياك،.. ثم لا يُكلّف نفسه أن يسلّم أو يُسالم ليكسب إلفتك، ويملأُ حياتك.. حتى إذا ما غيّبك (الثرى) مضى يندبك ..وينثر عواطفه على ثراك، ويندم على تفريطه عن لقياك- ولا ساعة مندم-، حينها (فقط): يعضُّ أنامله غيظاً من هذه الدنيا!، - قال (علي الجارم):

رب من كنت في الحياة له حرباً شققت الجيوب عند غيابه

وتحديت شمسه.، فإذا ولى تمنيت لمحة من ضبابه

لم يفز منك مرّة بثناء .. فنثرت الأزهار فوق ترابه-

و.. هذه أعطاب الدنيا – الدنيّة – القصيرة الزائلة!

بل (الملعون[2])كل ما فيها.. عدى (ذكر الله وما وآلاه)- كما في الحديث-، من الحب في الله، والأخاء والصفاء والنقاء.. للسرائر والضمائر، كما يقول (ابن عثيمين) عن خليص له، حين مات:

أخٍ كان لي نعم المعين على التقى به تنجلي عني الهموم وتذهبُ

موضحاً بهذا قوله تعالى: ﴿ ٱلأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف/ ٦٧] جعلنا الله منهم وبلغنا منزلتهم، وأنا لنا- لديه – حضوتهم.

---

(١) بمعنى: تمام الإيمان وكماله – فإن لذة الإيمان تجدها حين تؤثر أخيك على نفسك لله وفي الله –

(٢) .. كذا نعتها ﷺ ، وهي ساقطة .. (ولا تساوي جناح بعوضة .. عند الله) - كما في الحديث وأنظر ما تقدم ص٢٢ مع هامش (٢)-

.. لكـــن هذا، لا يعني –عتب على– فراق (دنيا) لطلب معاشٍ، أو بحثٍ عن كلأ، لم يجده في بلده فـــ ضطرّ لبينٍ عن ذويه وأخلائه، إثر جذب عيشه[1] إلى (الرحيل).. وراء دنيا يصيبها، ورزق سيق إليه.. دفعاً، لا رغبة ولا حرصاً!

–.. فـــ آه لمثل هذا..، قال (جرير):

ودع (أُمامه) حين حان رحيل إن الوداع لمن تحبُّ قليل –

تـــذكـــر دائمـــاً

.. الروح: تفارق البدن عند (النوم) وهي (الوفاة الصغرى)

..وتفارقه كلياً عند (الموت) وهي (الوفاة الكبرى)

---

(١) .. أنظر (عينية) ابن زريق.. المشهورة:

لا تعذليه!، إن العذل يولعه قد قلتِ حقا، ولكن ليس ينفعهُ